مقدمة

فى إطار البحث عن صيغ التواصل والتلاقى بين الموروث الإبداعى والمستحدث، وفى باب التأصيل للجديد، ووجوب قراءة القديم بمنهجية معاصرة، تحاول هذه الدراسة تحليل مجموعة من الظواهر النقدية والفنية، الهادفة إلى إعادة عرض مشروع قرائى فى ساحات المعارضة الشعرية، بما يستحقه من التأمل والمراجعة، ذلك أن المداخل النظرية لهذا النمط من الدراسة بدت ضرورة بحثية تحكيها مستويات الحوار مع التراث، باعتباره أغلى ممتلكات الأمم والأفراد، وأعلاها مكانة من حيث تعبيره عن الهوية والشخصية، والكيان، بما يكسبه احتراما يدعو إلى ضرورة تجديده وإحيائه، من خلال تكرار المراجعة والمساءلة من جانب، ودراسة مدى تفاعله مع مقومات الواقع ومتطلبات الفترة من جانب آخر، وبين الجانبين تقف معايير التفاعل وطبائع العلائق مع النسق التاريخى والأطر الوظيفية بكل صورها الاجتماعية والنفسية والجمالية والقيمية والفكرية.

بدا طبيعيا ذلك التحول وذلك الانتقال إلى طبيعة التعامل المنهجى مع معطيات المادة الإبداعية، ومعها الحرص على رصد آليات الناقد بما يعنى باحتياجاته الحقيقية لسبر أغوار النص وفهمه، انطلاقا من المنظور النقدى الصحيح بين مرحلتى التحليل والتقويم، وهو ما قد تعكسه صيغ الإدراك لطبيعة الدرس من حيث استكشاف الطبيعة النوعية للنص، ثم أدوات تشكيله الجمالى، ثم وظائفه، لتنتقل ـ بالطبع ـ إلى تحليل مقوماته بين المبدع والعمل الفنى والنص والناقد ذاته، ومعها تعددية مراحل القراءة عبر التاريخ مدخلا مساعدا لصحة التحليل ودقة التقويم، وضمان النفاذ إلى المعانى الثوانى إذا دخلت فى باب الرمزية والمجاز.

وبدا طبيعيا للبحث ـ إذن ـ أن يتحول من النظرية إلى التطبيق الذى اتخذ شواهده عبر مستويات الإبداع العربى فى صورة تداول المعانى، أو قراءة المشترك بين الشعراء من خلال تشابه تجاربهم ومواقفهم، باعتبارها الدافع الأساسى وراء معارضاتهم، مع احتفاظ الشاعر المعارض بحرارة التجربة الفردية الخاصة، دون ذوبان فى الآخر ـ موضوع الإعجاب والمعارضة ـ الأمر الذى ينتهى بوجوب رصد مقتضيات الدرس، وتحليل السمات الفارقة وأوجه التشابه والتلاقى، مع تعزيز فكرة التحول التدريجى بين شكل المعارضة ومحتواها، إلى الوقوف عند الإيقاع الانفعالى الذى قد يؤسس للشعراء مدارس أو اتجاهات متقاربة، إلى الموقف الشكلى الذى قد تعكسه بعض الأنماط والصور والمحاولات؛ إلى وضع الحدود الفاصلة بين دراسة المعارضة فى حدها الاصطلاحى والدلالى، وبين صيغ التناص وصوره التى ربما حققت لشعرائها ونقادها مساحة تقارب المعارضة أو تتواصل معها.

ومن هنا كانت إحالة الدرس التطبيقى إلى النموذج الإبداعى بحثا عن صيغ التميز، ومستويات التلاقى والتفرد، من واقع إبداع علمين من أعلام الشعر العباسى دارت حولهما الدراسات وتعددت الرؤى والأفكار، وبقى منهما ما يدعو إلى تكرار القراءة، بما قد ينتهى إلى الجديد سواء أكان فى رصد النتائج، أم فى إعادة فتح المجال للمزيد من الحوار وتجدد القراءة.

لعل هذه القراءة الجامعة بين الشاعرين وربما الجامحة بين إبداعهما، ما يطرح أمام القارئ نماذج دالة على طبيعة فن المعارضة الشعرية، حين يحكى نماذج من التواصل مع التاريخ والفن. إبداعا وتصويرا وأصالة وتعميقا من إعمال الأدوات النقدية المناسبة وصولا إلى فهم النص ودلالاته قبل أى اعتبار آخر.

والله ـ سبحانه ـ ولى التوفيق.

د. عبدالله التطاوي

القاهرة ٢٠٠٦م